العدد : 37-1979

مجلة أول

نوفمبر

اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين

20 أوت

رفض حازم لواقع الإحتلال

الذكرى 18 لإستشهاد

الرائد سي محمّد "بونعامة ميلالي"

ع . شهبوب

ـ أحيت ولاية البليدة فى شهر أوت الماضى الذكرى الثامنة عشرة لاستشهاد الرائد سى محمد قائد الولاية الرابعة فى ميدان الشرف بقلب مدينة البليدة .

ـ وتميز حفل تدشين النصب التذكارى بحضور الاخ احمد بن الشريف عضو المكتب السياسى ورئيس المجلس الاعلى للشباب والطفولة ونائب رئيس لجنة الاطارات ، والاخ جلول ملائكة نائب رئيس المجلس الشعبى الوطنى ، وأعضاء من الامانة الوطنية للمجاهدين والسلطات المحلية ، ومجاهدى ومناضلى ولاية البليدة وكذا رفاقه فى السلاح .

ـ ان هذه الذكريات التى نحتفل بها فى كل التراب الوطنى فى كل سنة وفى كل شهر لتذكرنا باستمرار بهؤلاء الابطال الذين قدموا دماءهم سخية ونذروا حياتهم وشبابهم فداء من اجل جزائر حرة مستقلة .

ـ وذكرى 8 أوت من كل سنة تذكرنا هى الاخرى بقوافل الشهداء الابرار وبابطال ثورة اول نوفمبر الفذاذ الذين كانوا فى مستوى التضحية والمسؤوليات التى انبطت بهم .

ففى 8 اوت من سنة 1961 سقط الرائد سى محمد قائد الولاية الرابعة فى ميدان الشرف بقلب مدينة البليدة.

وباستشهاد سى محمد فقدت الولاية الرابعة قائدا فذا ، فقد كان يعد الرائد سى محمد بعد العقيد سى امحمد بوقرة من ابرز شخصيات الولاية ، واعتبرته القيادة الفرنسية التى تعرفه كعدو مخيف القائد الاكثر ديناميكية فى الداخل بدون منازع .

وقد ولد سى محمد واسمه الحقيقى بونعامة جيلالى يوم 16 افريل 1926 بقلب الونشريس . بقرية تدعى (موليار) والتى اصبحت تحمل اسمه وتدعى د (دوار بنى هندل

وفى هذه المنطقة الجبلية ، حيث يشب الرجال على الصلابة ، ترعرع سى محمد وقضى طفولته ، حيث تلقى دراسته الابتدائية فيها ، ولم يأل جهدا لتطوير معارفه وكان ذلك داخل نشاطه الوطنى الذى اخلص له منذ صغره . وكان عضوا فى حزب حركة انتصار الحريات الدبمقراطية حيث تقلد بسرعة مسؤولية قسم (بوقايد) وقد سمحت له بالاتصال بمناضلى الاسنام ووهران والجزائر اذ كان ينتقل باستمرار فى مهمات الحزب .

ثم التحق بالنظام السرى وبرهن على شجاعته ونشاطه الذى كان محل اعجاب كل المناضلين ، مما وقع عليه الاختيار من بين كل المناضلين لحضور مؤتمر هورنو ببلجيكا .

ولما تفطنت الادارة الاستعمارية بوجوده كعضو فى المنظمة السرية حتى راحت تنصب له الشباك الحد من نشاطه الوطنى الدؤوب ، وفعلا تمكنت من سجنه . وما ان اطلقت سراحه حتى واصل كفاحه بمسقط راسه ، حيث توجد شركة فرنسية بلجيكية تستغل منجم الرصاص .

وكانت الظروف الصعبة لهؤلاء العمال تشغل باله كثيرا وكان يحلم معهم بمستقبل كريم وحر وعادل ، وبهذا جند العمال المنجميين سنة 1951 فى اضراب استمر 5 اشهر .

لقد كان سى محمد احد المناضلين الطلائعيين الذين تدسروا فكرة « الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لفك الجزائر من مخالب الاستعمار » فى ذلك الوقت .

واوقف مثل الكثير من اعضاء حركة الانتصار للحريات الديمقراطيه فى الايام الاولى من شهر نوفمبر سنة 1954 . وبعد ان اطلق سراحه

الذكرى 18 لإستشهاد الرائد سي محمد "بونعامة جيلالي"

سنة 1955 مع بعض اعضاء الحركه فرضت عليه الاقامة بوهران ، ولكنه التحق خفية بالاصنام حيث أتصل بمنظمة المنطقة التى اندمج فيها فيما بعد ، وبدأ بسرعة يجوب الونشريس والظهرة مع سى محمد البغدادى (عليلى احمد) القائد الاول للناحية . ولقد كان العمل الذى قام به مع نواة من المناضلين عملا جليلا للثورة ، وعملا جسيما على كاهل انسان واحد اذ كان يتمثل فى كسب كل السكان لفائدة القضية الوطنية ، وتنظيم الفدائيين فى كافة قرى المنطقة ، والقيام دوما بحملات مضادة للحملات الاستعمارية واذنابها فى المنطقة وبفضل حيويته وصلابته أمام الشدائد تمكن فى مدة قصيرة ان يجعل من جبال الونشريس معقلا لجبهة التحرير الوطنى وجيش التحرير الوطنى وقلعة منيعة حقا ، بعد أن قضى وتخلص نهائيا من نفوذ العصابات التى تعلن مساندتها بطريقة أو اخرى للمصالية التى كانت موجودة بالمنطقة .

وفى نهاية 1956 وطبقا للتنظيم الجديد الذى انبثق عن مؤتمر الصومام أصبح الرائد سى محمد ملازما اولا وعضوا فى مجلس المنطقة . حيث كون فيما بعد وحدات مقاتلة كانت تنطلق لمهاجمة الوحدات الفرنسية وضرب تجمعاتها وقوافلها الآلية فى الظهرة بجبال زكار وتنس وفى الونشريس وثنية الاحد ، كما كون افواجا من الفدائيين والمسبلين كانت تنشر البلبلة فى سهل الشلف وضواحى المدن مثل الاصنام والخميس وملينة وغيرها .

اما فى صيف 1957 فرقى سى محمد الى رتبة قائد المنطقة الثالثة التى كانت تغطى سهل الشلف وكل سلسلة الونشريس وقسما من السهل السرسو وسلسلة جبال الظهرة ، حيث كانت تمتد شمالا من تنس الى تيبازة وجنوبا من ليتورنو الى عمى موسى .

شغفه بالتنظيم :

ورغم الانشغالات العسكرية البحتة لم يكن يتغيب عن بال سى محمد العناية بمصالح الامن والحراسة لحماية السكان المدنيين الذين اصبحوا بفضل ما قام به من عمل جسيم يتمثل فى التنظيم السياسى يعملون تحت اشراف جيش التحرير الوطنى ، كما اصبحت كل الدواوير والمداشر منظمة ومجهزة بمجالس شعبية يشغل اعضاؤها مهام واضحة ومختلفة ايضا : الشؤون السياسية ، الشؤون الادارية والاجتماعية ، العدالة ، الصحة الى غير ذلك والحقت بكل ناحية كتيبة ومن اهدافها تحطيم كيان العدو ، ومراقبة نواحى المنطقة ، تنصب الكمائن لقوافل العدو ، وتزعج المعسكرات .

كما كانت هذه الكتائب فى نفس الوقت مدارس للاطارات حيث كان الجندى بالاضافة الى مهامه العسكرية التى كانت شغله الاساسى يتلقى ايضا وفى نفس الوقت تكوينا سياسيا لتوسيع افقه ،وتعميق اسس الكفاح المسلح ، لانه مدعو فى يوم من الايام للاضطلاع بمسؤولية على مستوى القسمة او الناحية .

اما المصالح الملحقة بجيش التحرير الوطنى تقوم باعمال مختصة .

العيادات : التى كانت مخفية بعناية ومحمية حماية جيدة ومجهزة بممرضين مخلصين يعالجون الجنود والمدنيين ضحايا قنابل العدو .

التموين :

ويكون مخازن للتموين ليتمكن السكان المطاردون من طرف العدو والمحتمون بالجبال بعيدا عن المراكز العمرانية من الحصول على حاجاتهم .

الهندسة العسكرية : وتشمل مصلحة المتفجرات التى كانت تصنع وتضع الالغام ،وكانت تحصل على المتفجرات اما عن طريق المناضلين فى المنطقة

المدنية او عن طريق الاستيلاء على قنابل وقذائف الجيش الفرنسي اثناء الهجوم على معسكرات العدو او عن طريق جمع القنابل والقذائف التي لم تنفجر .

التعليم : فتحت المدارس في كل جهة واغلبها كان داخل ملاجيء تحت الارض وعمم التعليم وكانت اللغة الوطنية هي التي اعتمدها جيش التحرير الوطني .

كما كان للجيش التحرير الوطني مشاغله الخاصة به للخياطة موجهة خاصة لخياطة ملابس الجنود . ومشاغل أخرى لتصليح الاسلحة ، وكانت نقط الاتصالات منتشرة في طريق الوحدات، تضمن نقل البريد. وفي نهية 1957 تحقق التنظيم السياسي العسكري بفضل جهود سي محمد وتفاني الاطارات المخلصة حتى بلغت درجة كبيرة من الفعلية والقوة في الونشريس ، اذ يمكن اعتبار الناحية انها اصبحت فعلا منطقة محررة ، ولم يغامر العدو بدخولها طيلة 1958 ، فقد كان الطيران يتكالب ضد المدنيين مقنبلا كل ما يتحرك مستعملا النبالم والقنابل الزمنية الى غير ذلك .

ولم يهمل سي محمد مصلحه الامن والمراقبة لاعطاء الانذار للمدنيين وجيش التحرير الوطني تفاديا للخسائر التي لا وجوب لها ، وبصفة عملية كان يوجد مركز حراسة على كل مرتفع وكل قمة ، به مدني يخبره عن كل تحركات العدو ، كما كان الحال بالنسبة لمعسكرات العدو حيث كان الجنود الفرنسيون مجمدين ، كان الانذار سريعا ينتقل عن طريق حراس المراحل من واحد الى آخر .

المشاركة والاشراف :

كان الرائد سي محمد يملك صفات عسكرية جعلت منه استراتيجيا كبيرا لحرب العصابات ، ابادت الكتائب والكوموندوس تحت قيادته عددا من وحدات العدو ، وكان يعتمد دائما على المفاجأة والسرعة في التنفيذ ، وكثيرا ماكان يقود الوحدات بنفسه وكان حضوره فقط بين الجنود يعطيهم شجاعة واستماتة في القتال . لقد خطط لعدة عمليات كبيرة ونفذت تحت اوامره منها ابادة وحدة آليات ترب ناربو ، وابادة كتيبة فرسان شمال شرقي ثنية الاحد ، واسر قائدها ، واحتلال سوق الاحد ، وعملية لا مارتين حيث اسر ثلاثين جنديا . وكان يقود بنفسه فيلق العمليات بالونشريس .

وابتداء من جانفي 1959 شرع العدو في عملية واسعة النطاق في اطار (مخطط شال) اطلق عليها اسم (الناج) الهدف منها اختراق الونشريس والوصول الى الطرف الاخر منه ، وقد تصدى سي محمد مع عدد من كمائب المنطقة لقوات العدو التي تضم عشرات الالاف من الجنود ومئات من الدبابات المدعمة بالمشاة والطائرات المقنبلة والطائرات العمودية ، واستمرت المعركة اياما عديدة بعنف ،وامتدت على كل هضبة الونشريس ، وقد وضع سي محمد خطة استراتيجية لوحدات المكونة من فرق صغيرة تنتشر في الجبال وتطوق الصفوف الخلفية للاعداء والقيام بهجوم في السهول والمدن وتطويق المراكز الحضرية ، وبهذا احبط مناورات العدو الذي كان يعتقد انه سيقضي على جيش التحرير الوطني بتركيز كل قواه في منطقة واحدة .

بعض من اعماله التاريخية :

وفي نهاية 1958 عين في مجلس الولاية رائدا عسكريا بجانب العقيد سي احمد الذي كان يقدره كثيرا . وبعد استشهاد هذا الاخير باولاد بوعشرة في 5 ماي 1959 واصل كل من سي محمد وسي صالح تسيير ادارة الولاية . وهكذا استمر سي محمد وهو على راس الولاية بمعية الرائد سي صالح واسمه الحقيقي (زعموم محمد) في العمل بدون تهاون .

فعدل فيه وحور على حسب مقتضيات الكفاح المسلح ، خاصة وانه كان عليه ان يقف امام الشدائد والمحن بعد استشهاد صديقه الحميم امحمد بوقرة.حيث كان لا يشكو ابدا من التعب حتى وان بلغ به اشده ولا يشكو من قلة النوم ولا حتى من صحته التي كانت دائما معتلة . اذ كان سي محمد يعمل بانتظام يجوب الولاية ذهابا وايابا باستمرار رغم الحراسة المشددة للعدو ، والمنتشرة في كل مكان ، يراقب ويتفقد مراكز الجنود مستفسرا عن وضعيتهم في كل منطقة وفي كل ناحية .

ومن مقر الولاية الذي كان كثيرا ما ينتقل من جبال الشريعة الى الونشريس والعكس لاحباط عمليات العدو ، كان يزود قيادة المناطق بمقررات واضحة ودقيقة انها فعلا مرجع عمل يبين لهم كيفية تنظيم المدن والاتصالات التي يرونها ، وزرع الجواسيس في صفوف العدو .

ولربط المراكز العمرانية والمناطق السهلية بالبوادى أحدث سى محمد نظاما دقيقا وذلك بتكوين خلايا اتصالات واستعلامات دقيقة حول المراكز العمرانية ، واشترط على كل مناضل أو مسؤول أن يتعرف على عدد اكبر من المواطنين وخاصة منهم المناضلين . وهكذا اصبحت الاتصالات بين الولاية والمناطق سريعة عن طريق استعمال صناديق البريد الموزعة فى المدن باسم مناضلين مخلصين .

ولما الحقت الجزائر العاصمة بادارة الولاية الرابعة فى صيف سنة 1960 جهزت بمجلس منطقة وهكذا احدثت منطقة جديدة هى المنطقة السادسة تشمل الجزائر العاصمة وقسما من الساحل ومتيجة ، ولهذه العملية جند سى محمد عدة اطارات قيادية من المناطق والنواحى والاقسام ، مفضلا عناصر لها خبرة بكفاح المدن .

وبفضل هذا الالتحاق الجديد لبعض المناطق تمكن سى محمد من تكوين علاقات وثيقة بالولايات الاخرى وبقيادة الثورة عن طريق مناضلين مكلفين بالاتصالات يرسلون فى مهمات فى الداخل وخارج الوطن يحملون الاموال والبريد .

أفكار خالدة :

ومن اقواله الخالدة « ليس القائد من يقوم بعمل بطولى فقط بل عليه أن يكون رجلا يقنعهم ، يحبهم ويجعلهم يحبونه » هذا هو شعار سى محمد الذى كان يحب الكتابة ولا يهمل تكوين الرجال ، لقد حرر للوحدات « دليل الفدائى » وهو عبارة عن خلاصة لاسس قوانين حرب العصابات ،تشتمل على مجموعه من تكتيك المعارك ، هذا المنشور الدى اصبح موضوع دراسة ومناقشه فى اوساط الجنود .

وقد واجه سى محمد الاعيب شيطانيه للعدو واعماله الدنيئة التى يلتجىء اليها فى كل الاوقات والظروف ، متفوقا عليها بنشاطه الدؤوب السريع وبذكائه الوقاد وبرؤيته البعيده والصحيحة للامور، متنبئا ومكتشفا للفخاخ المختلفة التى كان ينصبها العدو من طرف جنرلاته، مستعملا فى ذلك بل مجندا وسائل مادية قوية وايادى ماهرة . ومع ذلك استطاع سى محمد أن يتجنب باعجوبة جدا ما يسمى بـ (قضية الاليزى) محبطا بذلك محاولة خطيرة تسعى لبث الانشقاق فى صفوف جيش التحرير الوطنى ، واضعاف امكانات المقاومة ، وكلما كان العدو يحصد الخيبة والفشل فى مؤامراته ضد قادة الثورة يزداد حقدا وضغينة ، وقد وصل به الحقد على سى محمد (بونعامة جيلالى) أن يجند قوات عظيمة للقضاء عليه بمجرد ما يشعر بوجوده فى الشريعة أو الونشريس .

وأمام تحرشات العدو وتنظيماته المختلفة قام سى محمد بتنظيم مصلحة قوية للتوعية والاعلام ، كانت تغطى العاصمة واهم المدن ، توزع المناشير التى تدعو الشعب الى الالتفاف حول جبهة وجيش التحرير الوطنى ، ويحمل شعارات وهتافات ترددها آلاف الحناجر أثناء المظاهرات ـ التاريخية .

وتحت اشراف الرائد سى محمد استطاعت هذه المصلحة أن تحضر كل الشعارات لمظاهرات جويلية 1961 والمناهضة لتقسيم الجزائر .

حصال سى محمد :

ان كل الذين التقينا بهم وتحدثنا معهم يؤكدون بأن الرائد سى محمد كان بطلا من ابطال الثورة التحريرية واحد رجالات الحرب التحريرية بارادته القوية التى لا تكل من الحرب بل زادتها الشدائد صلابة ، وجعلل منه قائدا فذا يتحلى بصفات الرجال العظام ، لقد كان الرجل موقرا من طرف الجنود ، حريصا على مبادىء الثورة واخلاقياتها .

وكم كانت دهشة الصحافى الايطالى من بساطة الرائد سى محمد اثناء زيارته له فى مركزه بالشريعة ، وتعجبه من معايشته لابسط الجنود. وكان مثل كثير من المسؤولين مشهورا بتصرفاته المملوءة بالعاطفة. كم من مرة شوهد وهو يقدم لباسه لجندى قدمت بذلته ، ويتنازل عن حذائه الجديد لجندى آخر بلى حذاؤه ، وكم من مرة وفى منتصف الليل القارس ، يخلف جنديا فى الحراسة رغبة منه فى القيام بدوره فى الحراسة . وشوهد ايضا وهو قائد الولاية ـ وفى امكانه ان يرسل جنديا الى مركز القيادة لجلب البريد ـ يقوم بهذا العمل بنفسه مستفسرا عن وصول البريد وعن الوضعية فى هذا المركز وذلك ، حيث كانت تحذوه فى ذلك عزيمة مجاهد لا تنضب .

لقد ضحى الرجل بكل ما لديه من أجل القضية الوطنية ، فلم يظهر عليه اى تأثر عندما أخبره جندى

البريد بموت أمه فى غارة جوية . وكذلك الحال عند موت أبيه . وكان اخوه الاكبر محمد منذ مدة يعيش فى غياهب السجون الاستعمارية منذ 1955 . وهكذا تشتت العائلة المطمئنة على ايدى طغاة بقتل الوالدين والزج بالباقى فى السجوم وهدم المنزل ، ورغم تعب السنوات الاخيرة انكب سى محمد بدون توقف لتطوير وسائل الكفاح . وفعلا كانت النتائج ايجابية ، وبدا التفاؤل يلوح فى الافق منذ ربيع سنة 1961 على امتداد المناطق الستة التى تكون الولاية . حيث بدا الجزائريون المجندون فى الجيش الفرنسى يلتحقون بجيش التحرير الوطنى ، وكانت تربط الولاية بالمناطق شبكة من « القنوات » السريعة وفى المناطق العمرانية كانت الاتصالات مع الخارج عن طريق اوروبا ، وتم تكوين لجان بالمدن حسب تنظيم بسيط وفعال اعطى نفسا جديدا للنظام بالعاصمة ، وهكذا تم نهائيا تمركز جبهة التحرير الوطنى وجيش التحرير الوطنى بالعاصمة .

ولتدعيم النظام واعطاء ابعادا اخرى للكفاح اختار سى محمد البليدة لتنفيذ خططه الجريئة حيث وضع مصالح المواصلات والتوعية والاخبار فى صميم قلب متيجة ، كما وضع مركز القيادة مؤقتا بالبليدة ، وان الذى لقب بذئب الونشريس يجعل اليوم مركز قيادته فى قلب المدينة المحصنة وهذا طبقا لمتطلبات الحرب .

وانطلاقا من هذا المركز بدار النعيمى اعدت ونظمت اضرابات ومظاهرات ضخمة بدات فى الانفجار من الاصنام الى متيجة الى الساحل والعاصمة حيث خرج خلالها مئات الالاف من الجزائريين يتحدون الموت مسلحين بسواعدهم العارية أمام الجهاز القمعى الرهيب،وكان يحدوهم حماس عظيم منبعه شعارات وهتافات جبهة التحرير الوطنى ، ومن البليدة ايضا نظم سى محمد عملية دقيقة لجلب السلاح من الخارج .

ـ قصة استشهاده ـ

لقد كان سى محمد منهمكا على العمل تحدوه عزيمة قوية تتحدى الموت ، عندما فوجىء هو وبعض من رفاقه فى ليلة 8 أوت 1961 فى مركز القيادة الموجود بدار النعيمى ، اعطى الانذار على الساعة التاسعة أعقبته معركة بين 4 رجال من جيش التحرير الوطنى و4 رجال من المناضلين وعلى راسهم قائد الولاية من جهة والقوات الفرنسية من جهة اخرى .

لقد استعمل العدو وسائل خاصة ، فرقة من المظليين ، الفرقة « 11 » للضاعقة والملحقة بالرئاسة نقلت على جناح السرعة من كورسيكا الى مكان المعركة . يساندها المظليون المتواجدون محليا وكذلك حامية البليدة بأعداد كبيرة .

وقد قاوم سى محمد ورفاقه مقاومة عنيفة مطبقين فى ذلك خطة كان قد وضعها قبل ذلك وهى على المحاصرين ان يلتزموا بزوايا البيت وبهذا يغطون ثلاث اتجاهات ، ولقد سبق ان أحرقوا كل الوثائق التى كانت بحوزتهم . لقد ثبتوا عدة ساعات ، ، امام قوات ذات التدريب الخاص التى يملكها الجيش الفرنسى ، وقضوا على عدد كبير من أفراد العدو واستماتوا فى القتال حتى سقطوا أمام قوات العدو الضخمة اذ كانت المعركة غير متكافئة ، وكان ذلك حوالى منتصف الليل .

وفى هذه المعركة استشهد كل من الرائد سى محمد وخالد مسؤول الاتصالات وعبد القادر العامل على اللاسلكى والشاب المناضل النعيمى مصطفى ، واصيب بجروح خطيرة محمد مسؤول مصلحة التوعية والاخبار واسر مناضلان آخران من عائلة النعيمى التى كانت تحتضن مركز القيادة .

وبعد انتهاء المعركة أعلنت مصالح الاعلام الفرنسية فى دوى عن استشهاد سى محمد صارخة بسرعة انه « النصر » .

وما أن علم الجنود باستشهاده حتى قام رفاقه فى الولاية بعدة عمليات على امتداد الولاية وامتدت الضربات الجريئة والاعمال الفدائية الى العاصمة ، واشتدت المعركة اكثر ضراوة التى كانت مستوحاة من الافكار والكفاح والتضحية التى تركها الرائد سى محمد ومن قبله العقيد امحمد بوقرة ، وغيرهم من الابطال الذين استشهدوا والسلاح باليد .

وبصفته قائدا سياسيا وعسكريا ترك سى محمد فى المجاهدين والمناضلين الذين عرفوه أثرا فى نفوسهم لن ينسوه مدى الحياة .